# الطب المعاصر: تحسين النسل رهان جديد داخل تقنيات الهندسة الوراثية

تفاحي فتيحة *
إشراف: مونيس بخضرة **

**الملخص باللغة العربية:**

يواجه العلم اليوم تحولا جديدا، حيث أحدثت تقنيات الهندسة الوراثية الجديدة خيارات عديدة، وفتحت إمكانات واعدة أمام إنسان الألفية الثالثة، وأتاحت له فرصا جديدة لإطالة العمر، وكل ما يمكّنه من الصحة والجمال والسعادة، وما يحقق له حياة أفضل وأسمى. بل وأصبح بإمكانه التحكم في الخريطة الجينية وتوجيهها نحو تحقيق أفضل لنسل أرقى. من خلال التعديل الجيني للعيوب الوراثية، بل تعدي الأمر إصلاح العيوب وعلاج الأمراض إلى إنتقاء أحسن للخصائص والصفات، وتشجيع إنجاب الأفراد الأكثر كفاءة. وفي المقابل طرحت مشكلات تستحق التمعن، ووقفة جّادة نعيد من خلالها التفكير؛ لِما أثارته من تساؤلات إتيقية وحقوقية وقانونية .

**الكلمات المفتاحية:** الهندسة الوراثية؛ تحسين النسل؛ الطب المعاصر؛ التعديل الجيني؛ الإتيقا.

**ملخص باللغة الإنجليزية:**

**Abstract**: Science today faces a new transformation. The new genetic engineering techniques have created many possibilities and opened up promising possibilities for the third millennium, providing new opportunities to prolong life, health, beauty and happiness, and to achieve a better and

* - طالبة دكتوراه تخصص "فلسفة الأخلاق التطبيقية" وباحثة بمخبر تطوير للبحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة د. الطاهر مولاي -سعيدة-. البريد الالكتروني [amenfati80@yahoo.fr].

**- أستاذ التعليم العالي بجامعة أبو بكر بلقايد–تلمسان-.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

higher life. But has been able to control the genetic map and guide it to achieve better offspring superior. Through the genetic modification of genetic defects, but to make the repair of defects and treatment of diseases to better selection of characteristics and qualities, and encourage the birth of the most efficient individuals. On the other hand, I raised problems worthy of reflection, and a serious pause in which we rethink, because of the raised questions of ethical, and legal.

**Keywords:** genetic engineering; eugenics; contemporary medicine; genetic modification; ethics.

**توطئة:**

إن التطور الذي عرفته العلوم الطبية والدراسات البيولوجية، من خلال استخدام أحدث التقنيات، ساهم في محاولة تغيير شروط الحياة العضوية للإنسان ولا يقتصر ذلك على مجرد تغيير جوانب من حياته النفسية، وما تعلق بتجديد الخلايا والأنسجة، في إطار الجراحات التجميلية، وعمليات زرع الأعضاء، تغيير أعضاء مبتورة بأخرى اصطناعية، وإتاحة فرص جديدة لإطالة عمر الإنسان وكل ما يمكّنه من الصحة والجمال والسعادة، وما يحقق له حياة أرقى. بل أضحى الأمر أخطر من ذلك؛ لأنه أصبح يتعلق بالتحكم في الخريطة الجينية التي تحدد البنية الوراثية للكائن الإنساني من خلال مشروع الجينوم البشري.

فإلى أي حد يمكن اعتبار **مشروع الجينوم انتصارا للنوع البشري** أم أنه **مشروع يحمل في طياته مخاطر خفية؟** وهل استطاعت الثورة الجينومية المعاصرة الحد من المشاكل الصحية والأمراض التي يعانيها الجسد؟

إن الأفكار التي كانت في وقت مضى مجرد تنظيرات فلسفية لنسل أحسن، تبناها الفلاسفة بدءا من أفلاطون في محاورة القوانين* محذرا فيها على لسان الأثيني، من كل ما من شأنه التأثير على صحة الرجل قائلا: «ينبغي ويجدر بالرجل أن يكون حذرا ومتنبها طوال العام وطوال حياته، وعلى الخصوص خلال انشغاله بإنجاب النسل، وأن

***- تتألف محاورة القوانين من اثني عشر كتابا، والكتاب السادس منها ، حدد فيه قانون الزواج والإنجاب، وما يخص حياة النساء والأطفال.**



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتمتع بقدر ما يستطيع عن كل ما من شأنه إلحاق الضرر بالصحة أو عن كل ما يتسم بالخطأ والعنف، ذلك أنه لا يستطيع ألا أن يطبع لونه وبصمته على نفوس وأجسام الأجنة التي لم تولد، وألا أن يصبح أبا لنسل ينحط انحطاطا مرا.»[1] بحث أفلاطون جاهدا عن «الإنسان القوي لحماية الدولة، والأجساد ذات الذكاء المميّز لتسيير النظم السياسية حين وضع أسس إنشاء "جمهوريته الفاضلة" إذ حاول أن يضع قوانين تحدد النسل وتنظمه»[2] هي الصورة التي رسمها أفلاطون لمجتمع خال من النسل الضعيف. ويبدو أكثر حرصا حينما يقول: « من الواجب أن يُعنى هؤلاء الموظفون بأبناء صفوة المواطنين ويعهّدوا بهم إلى مربيات، يقطّن وحدهن مكانا خاصا من المدينة، أما أطفال المواطنين الأقل مرتبة، وأولئك الذين يولدون وفي أجسامهم عيب أو تشويه، فعليهم أن يخبئونهم في مكان خفي بعيد عن الأعين.»[3] لم تتغير دلالة فكرة تحسين النسل في العصر الحديث عن المضامين التي كانت تحملها قديما بل ظلت تنشد "الإنسان الأعلى" بلغة "نيتشه"* 1844-1900"، وإن تغيرت الآليات وتطورت الوسائل والتكنولوجيات التي ساعدت على تحقيق أفضل لنسل أرقى.

## دلالات مفهوم تحسين النسل:

تحسين النسل Eugénisme هو «العلم الذي يعالج كل المؤثرات التي تحسن النوعية الأصلية للسلالة، ونميز بين اليوجينا L'Eugénique كدراسة للعوامل القادرة على تطوير النوع الإنساني، وتحسين النسل L'Eugénisme كمذهب اجتماعي وسياسي، موجّه لاحتضان هذه التحسينات بطريقة جذرية.[4] أما في اللغة الفرنسية يحمل مفهوم Eugénisme كما ورد في قاموسLarousse «العلم الذي يهدف لتحسين الشروط الفيزيائية للجنس البشري. »[5]

---

1- أفلاطون، القوانين، تر: د. تيلور، نقله إلى العربية: محمد حسن ظاظا، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د-ط)، 1986، ص 300.

2- سمية بيدوح، فلسفة الجسد، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، (ب- ط)، بيروت، 2009، ص 56.

3- أفلاطون، جمهورية أفلاطون، مرجع سابق، ص 337.

*- فريدريك "نيتشه* 1844-1900 فيلسوف ألماني ولد "بغوكن باي لوتزن"، ألمانيا. كان له تأثير قوي على الفكر الفلسفي المعاصر.

4 - Eugénisme : science ayant pour objet les condition d'amélioration physique de l'espèce humaine. Pluri dictionnaireLarousse,Paris,1985, P 519.

5 - Gilbert Hottois et Jean Noel Missa, Nouvelle Encyclopédie De Bioéthique, Terme Eugénisme, De Boeck Université, 1ére édition, Bruxelles, p416.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان قد«اقترح (فرانسيس غالتون) Francis Galtonعام1883 -وهو ابن عمّ العالم تشارلز داروين* - برنامج للتكاثر البشري أسماه علم تحسين النسل Eugenics الهدف منه لا يقتصر على ايقاف الانحلال أو التدهور المفترض للمخزون البشري. بل يتعداه إلى تحسين الصفات الجسمية والفكرية للأجيال المقبلة.»[1] اليوجينا تؤكد على فكرة التحذير من الإنجاب في حالة التأكد علميّاً أن الجنين يحمل تشوهات خلقية وعقلية. وإذا حدث الحمل فالأجدى التخلص من الجنين حتى لا يكون عالّة على نفسه ومجتمعه مستقبلا. حيث ميز غالتون بين نوعين من تحسين النسل: «تحسين النسل الإيجابي الذي يهدف إلى دعم الخصائص البيولوجية والنفسية والعقلية الإيجابية وتشجيع إنجاب الأفراد الأكثر كفاءة. ويؤكد غالتون على هذا النوع الأول أكثر من تحسين النسل السلبي الذي يسعى إلى استبعاد الخصائص البيولوجية السلبية وتقليص إنجاب الأفراد الضعاف وذوي العاهات والعاجزين عن التكيف الاجتماعي.»[2] فقد استلهم غالتون أفكاره من نظرية داروين التي تقّر أن الإنسان تطور وارتقى إلى حالته الحالية لأن هناك تغير يظهر على أجيال النوع خلال سنين طويلة، وكل الكائنات تنقرض ماعدا الأصلح منها للبقاء، يقول داروين في كتابه أصل الأنواع :«التنازع من أجل البقاء نتيجة حتمية للمعدل العالي للزيادة التي ألت إليها جميع الكائنات العضوية، وبالرغم من أن بعض الأنواع قد تكون حاليا، في حالة زيادة شبه سريعة في العدد إلا أن جميع الأنواع لا تستطيع أن تفعل الشيء نفسه وذلك لأن العالم لا يتسع لها.»[3] لا مكان للضعفاء وفق الانتخاب الطبيعي للكائنات ففكرة "البقاء للأقوى" كانت من الأسباب الرئيسية التي ساعدت على إحداث تغيرات تطورية؛ لأن من خلال قوانين التطور يتم انقراض بعض الأنواع وبقاء البعض الأخر ونشوء سلالات جديدة بصفات جديدة ويصبح كل ميلاد لإنسان جديد هو تجربة جديدة ومغايرة للتجارب السابقة. وقد تركت النظرية التطورية آثارها في الفكر العلمي والفلسفي المعاصر.

***- تشارلز داروين عالم طبيعي وفيلسوف انجليزي، اشتهر بنظريته في أصل الكائنات الحية وتطورها، وقدم حولها تفسيرات مستفيضة من خلال مؤلفه "أصل الأنواع".**

**1- سعيد محمد الحفار، البيولوجيا ومصير الإنسان، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 38، نوفمبر 1984، ص 29.**

**2- عمر بوفتاس، البيواتيقا، "الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا"، افريقيا الشرق، (د-ط)، المغرب، 2011، ص 336.**

**3- داروين تشارلز، صراع الأنواع، تر: مجدي محمود المليجي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2004، ص139.**



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تدل Eugénisme أيضا «على الحركة الاجتماعية السياسية الإيديولوجية التي تدافع عن ممارسة تحسين النسل (أو إيديولوجيا تحسين النسل)»[1] وهي حركة كانت تهدف من ورائها الدول الأوروبية إلى تحسين الصحة العامة، في ظل الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي عرفها القرن التاسع عشر.

بتأثير من غالتون «تطورت حركة تنظيم النسل في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م. تاريخيا، كان هدفها تحسين النوع الإنساني. ثلاثة مفاهيم تعود باستمرار إلى خطاب دعاة التحسين الأوائل: نظرية الانتقاء لداروين؛ فكرة الانحطاط العقلي والجسمي للأفراد، الخصائص الوراثية للمعاقين عقليا. وحركة تحسين النسل تتضمن تبلور التوجهات العنصرية.»[2] وتبقى الخشية من بروز أشكال جديدة من العنصرية، فتكون بمثابة نوع جديد من الإرهاب كما حدث مع ألمانيا النازية التي كانت تعدم كل المشوهين لتؤكد على التصفية العرقية لليهود والغجر حيث «بدأت أول سياسة للتعقيم بالولايات المتحدة عام 1899، قام بها الطبيب هاري شارب Harry Sharp وأنجز العمليات الأولى للتعقيم بعد الموافقة عليها، وفي النصف الأول من القرن العشرين صدرت قوانين تسمح بتعقيم المجرمين، والمتخلفين عقليا، في العديد من الولايات: إنديانا Indiana عام 1907، وكاليفورنيا Californie 1910»[3] شرعت ألمانيا في التعقيم الجبري المنّظم للمصابين بالشيزوفرانيا schizophrénie* والمصابين بالصرع، والمتخلفين عقليا. أما الطفل المشّوه أو المعّوق فقد تم التخلص منه بسهولة. وقد قتل بهذه الطريقة ما يقدر بحوالي 5000 طفل كانت هذه الخطوة كبوابة أمام انتشار هذه النزعة العنصرية، التي بلغت أوجها كإيديولوجيا تبنتها ألمانيا النازية؛ بحجة الحفاظ على الجنس الآري.

وهي التي تلقت إزاءها انتقادات عدة أبرزها تلك التي تمت «في إطار المؤتمر العالمي حول الوراثة القائم ب"أدمبرغ Edimbourg عام 1939، انتقد فيه علماء الوراثة البريطانيين والأمريكيين التوجّه العنصري لتحسين النسل عند الألمان، وكان

1- عمر بوفتاس، البيواتيقا "الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا"، مرجع سابق، ص 336.

2 - Jean noël missa. Charles Susanne, De l'eugénisme d'état à l'eugénisme privé, Département De Boeck université, 1999, Paris, P5.

3- ibid, p. 17.

*- الشيزوفرانيا أو الفصام schizophrénie اضطراب نفسي غير طبيعي، يعبر عن الفشل في تميز الواقع، من أعراضه الوهم، الهلوسة السمعية، واضطراب الفكر. يفقد صاحبه القدرة على المشاركة الاجتماعية.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

موقف "جوليان هكسلي Julian Huxley* مثالي؛ لأنه أشار إلى مخاطر العلم الزائف الذي تمثله النظرية النازية العنصرية»[1] بالقياس للممارسات القائمة شجعت هذه التطبيقات التفّرقة العنصرية التي مكنت النظام النازي في عهد هتلر من الإبادة الجماعية لليهود. فهل هناك حدود فاصلة بين التعديل الجيني للعيوب الوراثية وبين الرغبة في صنع الإنسان الكامل؟

**الصورة الجديدة لفكرة تحسين النسل:**

إن الجرائم التي خلفها النظام الألماني إبان الحربي العالمية الثانية، والتي تم على إثرها معاقبة مرتكبيها من جهة، والإعلان عن حقوق الإنسان عام 1948 من جهة أخرى. جعل البعض يعتقد أن حركة تحسين النسل، قد انتهت غير أن واقعا جديد، سيعيدها؛ ولكن هذه المرة «سيظهر نوع جديد من تحسين النسل يتم، حسب تعبير البيولوجي الفرنسي المتخصص في أطفال الأنابيب وتجميد الأجنة البشرية جاك تيستار** Jacques Testart بهدوء وبشكل "ديمقراطي" وبخبث أيضا: فممارسته لا تتم هذه المرة عن طريق إرغام سلطة معينة، بل تتم داخل المختبرات العلمية وفق رغبة الأفراد وبالموافقة الظاهرية للجميع.»[2] وبذلك لم تعد العلوم الطبية والبيولوجية تقف عند حدود محاربة الأمراض ومحاولة الحد منها بل تحول اهتمامها نحو الشخص السليم ليأخذ منحنى النسالة، وتحولت مهّمة الأطباء وعلماء البيولوجيا من تخفيف الآلام إلى "تصنيع الإنسان الأنموذج" في إطار المسح الطبي الوراثي الذي يجري للحوامل لتحديد الصفات الوراثية للأجنة للتعرف على صحة الجنين، وهكذا ساعد تطور تقنيات علم الوراثة، الأطباء وعلماء البيولوجيا من فك الشفرة الوراثية، وبالتالي تحقيق الطموح الذي ظل يراودهم.

**هابرماس ورهانات مستقبل الطبيعة البشرية:**

عطفا على الفكرة السابقة يصرح هابرماس في كتابه "مستقبل الطبيعة البشرية نحو نسالة ليبرالية" الذي يدخل في إطار الجدل القائم حول التقنية الوراثية التي تتطور بسرعة، وتحمل مع تطورها الكثير من القضايا التي تثير تساؤلات تتعلق

---

***- جوليان هكسلي Julian Huxley 1887-1975م عالم أحياء وفيلسوف إنكليزي.**

1 -Jean noël missa. Charles Susanne, De l'eugénisme d'état à l'eugénisme, Op.cit., p 19.

****- جاك تيستار** Jacques Testart 1939- عالم أحياء فرنسي، ومدير البحوث بالمعهد الوطني الفرنسي للصحة والبحوث الطبية.**

2- عمر بوفتاس، مرجع سابق، ص 351.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالوجود البشري وتقييمه لذاته، وهويته وماضيه ومستقبله. يقول: «عام 1973 تمكّن الباحثون من فصل وإعادة دمج مكوّنات الجينوم. ومنذ إعادة الدمج الاصطناعية الأولى، أخذت التقنيّات الوراثية بالتطور بقوة، لاسيما في مجال الطب الإنسالي حيث تم استخدام وسائل تشخيص ما قبل الولادة، وتم منذ عام 1978 استخدام التلقيح الاصطناعي.»[1] مع التقدم الهائل أصبحنا نواجه اليوم تحولا جديدا، يطرح مشكلات تستحق التمعن –خاصة إذا تعلق الأمر بنمط تدخل جديد مع فك شفرة الجينوم وإمكانية التحكم الخارجي من قبل الإنسان في التركيبة الجينية لإنسان آخر تطرح قضية في غاية الأهمية لأن « الفكرة السائدة حتى الآن على مستوى الحداثة الأوروبية يمكنها على غرار الإيمان الديني الانطلاق من أن التجهيز الوراثي للمولود الجديد، وبالتالي من الشروط العضوية لانطلاق سيرته المستقبلية، هي بمعزل عن كل برمجة وعن كل تلاعب مقصود من جانب الآخرين والشخص حين يكبر باستطاعته دون أدنى شك إخضاع تاريخه الشخصي لحكم نقدي ولمراجعة استبطانية"[2] كما ميز هابرماس أيضا بين نوعين من النسالة مثلما فعل غالتون، نسالة سلبية ونسالة إيجابية، يقول: «تظهر الضرورة لمحو هذه النسالة "السلبية" (المبرّرة فرضيّا) عن النسالة "الإيجابية" (غير المبرّرة منذ بداية الأمر) وبقدر ما يكون هذا الخط الفاصل مترجرجا، ولأسباب مفهومية أو عملية، فإن الأولى (النسالة السلبية) التي تريد احتواء التدخلات الوراثية خارج حدود نكون بعدها أمام تحدّ شديد التناقض ذلك أننا أمام مجال علينا فيه، أن نقيم، بل أن نفرض خطوط انطلاق واضحة بشكل خاص.»[3] يستدعي الأمر التمييز بين صورتين للنسالة إحداهما سلبية وأخرى إيجابية، ووضع حدود فاصلة بينهما؛ والحال أنها «حجة تستخدم اليوم في الدفاع عن نسالة ليبرالية لا تعترف بالحدود بين التدخلات العلاجية، والتدخلات الهادفة إلى غاية تطويرية، بل تترك للأفضليات الفردية لصناع السوق، اختيار الغايات التي تتحكم بالتدخلات المعدّة لتعديل السمات الوراثية.»[4] ولكننا نتساءل هل تخلت الليبرالية عن ولاءها لاستقلالية الفرد حينما فتحت مجال التصنيع البشري؟ «إن العلم والتقنية قد تحالفا طبيعيا حتى الآن، مع

1- يورغن هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، تر: جورج كتورة، بيروت، 2006،ط1، ص25.
2- المرجع نفسه، ص 21.
3- يورغن هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، ، ص 28.
4- المرجع نفسه، ص 28.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكرة الليبرالية التي تعتبر أن لجميع المواطنين الحق بالفرص نفسها، من أجل تكييف حياتهم بشكل مستقل.»[1] من الواضح أن هابرماس يقف موقفا وسطا بين الداعون للاستثمار في المخزون الوراثي، والرافضون التصرف في هذا الشأن، فهو يقبل تحسين النسل في صورته السلبية، ويرفض تحسين النسل في صورته الإيجابية.

**التقنيات الجديدة للهندسة الوراثية:**

تعتبر الهندسة الوراثية فرع من فروع التقنية الحيوية وهي نابعة من التكنولوجيا العلمية المتطورة، والتي مكنت الإنسان من اكتشاف خريطته الجينية «والتعريف العام للهندسة الوراثية هو استخدام معرفتنا للموروثات لإنجاب أطفال نتوقع أن لديهم مرضا وراثيا معينا أو عيبا وراثيا معينا ، وهذا يعني أنه يمكن للوالدين التحكم جزئيا في طفل المستقبل. لطفل المستقبل الحق في ألا يكون معوقا جسميا أو عقليا.»[2] ويحدث ذلك من خلال تحسين الصفات الوراثية، وإصلاح العيوب. «من الواضح أن الخط التالي من التقدم سيتمثل في تطبيق هذه التقنية على البشر. تثير الهندسة الوراثية البشرية مباشرة احتمال ظهور شكل جديد من اليوجينا مع كل ما شحنت به هذه الكلمة من مضامين أخلاقية، ثم في النهاية القدرة على تغيير الطبيعة البشرية ذاتها.»[3] "تهتم هذه الهندسة بتقنية خاصة نستطيع بفضلها أن نعزل الجزء المعيب أو المريض من الموروثات، أو أن نعالجه. وبذا نخضع الإنسان لبراعة التكنولوجيا ونتحكم جزئيا في الأجيال القادمة"[4] من هنا أصبحت " الخطوة الأولى نحو منح الآباء قدرا أكبر من التحكم في التركيب الوراثي لأبنائهم لن تأتي من الهندسة الوراثية، بل من التشخيص والتحري الوراثي قبل الانغراس، في المستقبل، سيتمكن الآباء بشكل نمطي من فحص أجنتهم آليا لرصد عدد كبير من الاضطرابات، ليُغرس منها في رحم الأم فقط تلك التي تحمل الجينات الصحيحة.»[5] ما يعني اهتمام أغلب علماء الهندسة الوراثية على العمل لإصلاح أو عزل الموروثات المتسببة في الأمراض.

---

1- المرجع السابق، ص 34.

2- أحمد محمود صبحي، محمود فهمي زيدان، في فلسفة الطب، دار النهضة العربية، بيروت، (د- ط)، 1993، ص 148

3- فرنسيس فوكو ياما، مستقبلنا بعد البشري، تر: إيهاب عبد الرحيم محمد، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط1، 2006، ص 97.

4- أحمد محمود صبحي، محمود فهمي زيدان، في فلسفة الطب، مرجع سابق، ص150.

5- فرنسيس فوكو ياما، مستقبلنا نحو البشري، مرجع سابق، ص 100.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لاسيما وأن «تقنية التشخيص ما قبل الولادة تؤدي إلى ممارسة تحسين النسل الإيجابي الذي يسمح بتفادي ولادة أطفال مصابون بأمراض مستعصية، وتلقى الحق في الإجهاض أساس قانوني في كثير من البلدان: بريطانيا 1967م، الولايات الأمريكية المتحدة 1973م، فرنسا عام 1975.»[1] في هذا الإطار قام مجلس الدولة بتقييم الحلول المقدمة من طرف القانون حول التساؤلات العديدة: البحث على الأجنة البشرية، التشخيص ما قبل الولادة، ما قبل الزرع، الاختبارات الجينية، معلومات من الأقارب حول الأمراض الوراثية، الحصول على الإنجاب بمساعدة طبية، التبرع بالأمشاج، زرع الأعضاء، المفهوم الطبي للموت[2].

واللافت للنظر بل من المؤكد « أن هذا المشروع سيزيد من فهمنا للسلوك البشري والجينات الوراثية في الصحة والمرض، مما يساعد في تصميم اختبارات للإرشاد الوراثي. لقد بدأت بالفعل ثورة الهندسة الوراثية البشرية، تقدمت بحوثها وتطبيقاتها، وعلى الرغم من أن جزءا كبيرا من منجزات هذه الثورة مازال بعيدا في مخيلات العلماء ومعاملهم.»[3] هذا لا يمنع من الحديث عن النتائج الناجمة عن تقدم تقنيات الهندسة الوراثية، وما حققه علم الأجنة الذي يهتم بدراسة «تركيب وتطور الكائن الحي منذ الولادة، أي حين يكون الكائن الحي في المرحلة الجنينية. وتشمل هذه الدراسة معرفة الطريقة التي يتم بها التلقيح، والصعوبات التي تواجه هذه العملية، ومحاولة إيجاد طرق لعلاج الجنين وهو في مراحل الحمل"[4] وقدم هذا العلم صورتين للتغلب على العقم:

- **الإخصاب الصناعي**.
- **الإخصاب خارج الرحم (أطفال الأنابيب).**

1-**الإخصاب الصناعي:** تعد مسألة تقنيات الإنجاب الصناعي من أهم مخلفات التطور العلمي في مجال الطب والبيولوجيا حيث أوجد العلماء حلول للعقم ووسائل للتخفيف من معاناة الأزواج المحرومين من الإنجاب وهي «عبارة عن تلقيح الأنثى بواسطة وسائل

1 - Jean noël missa. Charles Susanne, De l'eugénisme d'état à l'eugénisme privé,Op.cit., p28.

2 - Conseil D'Etat, La révision des lois de bioéthique La Documentation française, Paris 2009, p13.

3- وجدي عبد الفتاح سواحل، الهندسة الوراثية والتقنية الحيوية.. رؤية عربية، مجلة عالم الفكر، العدد 2المجلد 35، 2006، ص 27.

4- ناهدة البقصمي، الهندسة الوراثية والأخلاق، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993 ، ص76.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طبية بسائل منوي تم جمعه إما من الزوج فتسمى العملية الإخصاب الصناعي عن طريق الزوج أو من متطوع ويسمى إخصاب صناعي من متطوع.»[1] وإثر ذلك انتشرت ظاهرة الإتجار بالمني من خلال البنوك المنوية.

2- **أطفال الأنابيب**: في عام 1978 استبشر مئات الأشخاص خيرا ممن يعانون العقم وصعوبات الإنجاب بعد ميلاد "لويسي براون" أول طفلة أنابيب[2]، وتتم العملية بوضع البويضة الملقحة للزوجة بالحيوان المنوي لمدة معينة داخل أنبوب لينالها الإخصاب تم يتم زرعها داخل رحم المرأة والإخصاب بهذا المعنى لا يتم الإخصاب في صورته الطبيعية بين المرأة والرجل.

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل ظهرت فكرة الأم البديلة، " وقل مثل ذلك في حالات الأم بالوكالة. لا خلاف على أبوة الأب، وعلى الرغم من أن الزوجة أعطت بويضتها للحيوان المنوي لزوجها، فإن هنالك أساسا للقول إنها ليست الأم الحقيقية للوليد، وإنما الأم الحقيقية هي التي وضعت في رحمها البويضة وعانت معها شهور الحمل وأعطت الجنين من غذائها وطاقتها.»[3] وانتشرت أيضا فكرة الأسرة البديلة بصورة شبيهة بالتبني. الأمر الذي فتح الأفاق أمام الشركات للترويج لمثل هذه التقنية خاصة وأن الإنجاب رغبة طبيعية في الإنسان يعمل على تحقيقها من خلال مؤسسة الزواج، أما إذا حرم منه فإنه يعمل جاهدا ومهما كلفه الثمن لإشباع غريزة الأبوة أو الأمومة، وفي ظل ثقافة اجتماعية تنظر إلى الأزواج الذين يعانون من العقم نظرة نقص وازدراء من طرف المجتمع.

**ضرورة تحيين الإتيقا:**

آذِنَ الوضع المتأزم للواقع العلمي اليوم "تَحْيين" الإتيقا لتساير هذا التحول؛ بالمراقبة والتوجيه والتصويب لأن «ما يضعه العلم تقنيا بتصرفنا يجب أن يكون خاضعا لرقابة أخلاقية تجعلنا بالمقابل ولأسباب معيارية، غير قادرين على التصرف بها على هوانا.»[4] الحاجة إلى دليل أخلاقي، وتفكير إتيقي أضحى أمرا ملحا حيث «استطاع الوعي الغربي المعاصر في شقيه العلماني والكاثوليكي أن يصل إلى شيئين مهمين لم يسبق أن وصل إليهما من قبل. إعادة النظر في العلاقة التي تجمع السلطة الدنيوية

1- المرجع السابق، ص 77.
2- المرجع نفسه، ص 80.
3- أحمد محمود صبحي، محمود فهمي زيدان، مرجع سابق، 152.
4- يورغن هابرمارس، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، مرجع سابق، ص. ص 33-34.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والسلطة الدينية ومحاولة عقد هدنة بين الطرفين، لأن التحدّيات التي تواجه المجتمعات ما بعد الحداثية لا حصر لها. بات واضحا بأن الخطر الذي يداهم الإنسانية بفعل التطور العلمي قد يؤدي إلى القضاء على العنصر البشري.»[1] فلا غرابة أن نعتبر هذه الدعوة بمثابة تنبيه لأجل اتخاذ تدابير احترازية لمواجهة الأخطار التي تحّدق بالإنسانية، والتي أفرزها العقل الحداثي الغربي عندما ارتمى في أحضان العولمة التي أفسدت الجانب الروحي في الإنسان.

**خاتمة:**

إن الالتزام الفردي وسلطة الضمير وحدها لا تكفي مادامت هناك سلطة خارج ضمائرنا، هي سلطة الإلزامات الاجتماعية؛ ليحتفظ المجتمع بكيانه واستمراريته، ويتمكن من حماية حقوق أفراده، يجب أن يكون محاطا بِترسانَة إتيقية تحدد السلوكات والممارسات الطبية لاسيما في ظل التحولات التكنولوجية التي تولّد عنها مخاطر ومخاوف على هويّة الإنسان وكرامته، خاصة بعدما حاد الطب عن أهدافه. ولكن يبقى السؤال مطروحا: إذا كان مقبولا إصلاح العيوب والأمراض الوراثية بيولوجيا، فهل تغيير المادة الوراثية، وتزويد الإنسان بصفات التميز والعبقرية يعد أمرا أخلاقيا؟

**قائمة المراجع:**

1- أحمد محمود صبحي، محمود فهمي زيدان، في فلسفة الطب، دار النهضة العربية، بيروت، (د- ط)، 1993.

2- داروين تشارلز، صراع الأنواع، تر: مجدي محمود المليجي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2004.

3- سعيد محمد الحفار، البيولوجيا ومصير الإنسان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1984.

4- عمر بوفتاس، البيوإتيقا، "الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا"، افريقيا الشرق، (د-ط)، المغرب، 2011.

5- فرنسيس فوكو ياما، مستقبلنا بعد البشري، تر: إيهاب عبد الرحيم محمد، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ط1، 2006.

**1- يورغن هابرماس، جوزف راتسنغر، جدلية العلمنة "العقل والدين"، تر: حميد لشهب، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ط1، بيروت، 2013، ص. ص 23-24.**



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

6- ناهدة البقصمي، الهندسة الوراثية والأخلاق، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993.

7- وجدي عبد الفتاح سواحل، الهندسة الوراثية والتقنية الحيوية.. رؤية عربية، مجلة عالم الفكر، العدد،2المجلد 35، 2006.

8- يورغن هابرماس، جوزف راتسنغر، جدلية العلمنة "العقل والدين"، تر: حميد لشهب، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ط1، بيروت، 2013.

9- يورغن هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، ط1، بيروت، 2006.

10-Conseil D'Etat, La révision des lois de bioéthique La Documentation française, Paris 2009.

11-Gilbert Hottois et Jean Noel Missa, Nouvelle Encyclopédie De Bioéthique, Terme Eugénisme.

12-Jean noël missa. Charles Susanne, De l'eugénisme d'état à l'eugénisme privé, Département De Boeck université, 1999, Paris



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com